

وَجَمَاعَةٌ عُرِفَتْ لِعَمْرِي بِالسَّفَةِ وَتَمَسَّكَتْ بِضَلَالِ أَهْلِ الْفَلَسَفَةِ
 عَدَلَتْ عَنِ النَّهْجِ الْقَوِيمِ فَلَقِبَتْ عَدْلِيَّةً وَعَدَلَهَا عَنِ مَعْرِفِهِ
 صَلَّتْ وَقَالَتْ لَنْ يَرَى الْوَرَى يَوْمَ الْجَزَاءِ فَأَلْزَمَتْ نَفْيَ الصِّفَةِ
 هَذَا وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ وَكَمْ مِنْ مَذْهَبٍ ذَهَبَتْ فِي مَتَلَفِهِ
 كَيْفَ السَّبِيلِ لَصَرْفِهَا عَنِ غَيْبِهَا وَالْعَدْلُ يَمْنَعُ صَرْفِهَا وَالْمَعْرِفَةُ¹

لقد شكلت كل من قضية الأرض المفتوحة ببلاد المغرب ووضعيتها بعد الفتح، ومسألة شرب النبيذ، وقضية خلق القرآن نماذج لمسائل الخلاف الذي كان يدور في المراحل الأولى للنشاط الفقهي ببلاد المغرب، وقد تداول الفقهاء مسائل أخرى لا تقلّ تأثيرا ولا قيمة عن هذه النماذج، كمسألة أهل الذمة والتعامل مع الموسومين بها، واستمرّ الجدل بين فقهاء المغرب فيما بعد فبرزت عدّة مسائل شكلت حلقات نقاش كثيرة العدد وطويلة الأمد، ومن ذلك الخوض في مسألة الهجرة من البلاد التي استولى عليها العدو الكافر، وقضية الكاغد الرومي، وواقع المرأة في المجتمع المغربي ووضعها في مسألة الميراث، بالإضافة إلى عدة نماذج كان الفقهاء قد خاضوا فيها شرحا ونقدا وردا بما ينم عن مسأيرة الفقيه لواقعه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ويبرهن على الحيوية العلمية التي باتت تصطبغ بها بلاد المغرب. كما أظهرت هذه المسائل وغيرها تباين الرؤى بين الفقهاء سواء داخل المذهب المالكي الذي تشبث به المغاربة، وقد أفرز هذا اتجاهات عديدة في المدرسة المالكية بين قيروانية وأندلسية وفاسية وتلمسانية وبجائية، كما دار النقاش بين المالكية وغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى. وترتب على هذا تدوين الكثير من المصنفات وخروج العديد من الفتاوى المختلفة الأحكام، فأكسب ذلك كله بلاد المغرب ثراءً فقهيا ومعرفيا دلّ على نضج فقهاء المدرسة المالكية ببلاد المغرب الإسلامي.

أبو القاسم سعد الله مؤرخا ليوميات الثورة الجزائرية 1956-1957

من خلال كتاب "مسار قلم".

1 - ابن مرزوق: جنى الجنين في شرف الليلتين " ليلة القدر وليلة المولد النبوي، تح: محمد فيروج، دار الحديث الحسنية، الرباط 2002، دراسة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، ص 50.

د عبد السلام همال جامعة المسيلة

مقدمة:

نشر شيخ المؤرخين الجزائريين، أبو القاسم سعد الله، كتابا تحت اسم مسار قلم، يوميات. وحسب علمي ظهرت الأجزاء الستة من الكتاب في حياة المؤلف، أما الجزء السابع، فقد نشر سنة 2015، بعد انتقال الأستاذ الكبير إلى جوار ربه، ولا أعلم شيئا عن مصير الأجزاء الأخرى من الكتاب.¹ وتغطي الأجزاء السبعة المنشورة من هذه اليوميات الفترة الممتدة من سنة 1956 من القرن العشرين إلى غاية سنة 2002م.

ومما لا شك فيه أن رؤية الباحثين لهذه اليوميات ستختلف بين باحث وآخر، وربما ستثير جدلا. من جهتي سأقدم في هذه الورقة وجهة نظري الشخصية حول المادة التاريخية الخام المتعلقة بالثورة الجزائرية كما وردت في الجزء الأول من هذه اليوميات 1956-1957²، ولا أزعم أنني سأتي بالجديد، ولا بالكثير بحكم المدة القصيرة جدا المؤرخة لهذه اليوميات، فهذه المحاولة لا تخرج عن قراءة عادية لليوميات التي أرى أنه بإمكانها تقديم بعض الإضافة إلى تاريخ الثورة التحريرية.

بداية أترك المجال لصاحب اليوميات ليقدم عمله للقارئ: «بدأت أكتب يومياتي في القاهرة في فبراير سنة 1956م، ودام ذلك مع بعض الانقطاع إلى الوقت الحاضر، ففي الخامس من فبراير المذكور اشتريت مفكرة صغيرة بحجم 10 × 15 سم»³، وعن المنهج الذي التزم به المؤلف في إعداد هذه اليوميات يقول: «في نهاية كل يوم وقبل النوم كنت أمسك بالقلم والمفكرة، وأكتب على صفحة منها تاريخ اليوم».

ثم بتلقائية أسجل ما فعلت، وما جرى خلال اليوم من النهوض صباحا إلى ساعة اليوم، فيشمل ذلك الإفطار، وقراءة الجريدة وأخبار الجزائر، والمحاضرات التي حضرتها في الكلية، والذهاب إلى القاهرة، والعودة منها إلى المعادي، حيث كنت أسكن.

واللهو بلعب الورق، أو الدراجة، ومن زارني أو زرتة والأحداث التي جرت، أو سمعت عنها، والرسائل التي تلقيتها أو أرسلتها، والمشاريع الأدبية وعناوين القصائد.

وقد جرت العادة أن تبدأ اليومية بعبارة: «في هذا اليوم فعلت "كذا" وتنتهي بعبارة "ثم نمت" أو نمت على الساعة كذا»⁴.

وعن دوافع نشر هذه اليوميات يقول:

«ترددت طويلا بين طبع اليوميات الآن وبين الاحتفاظ بها إلى زمن لاحق، أي بعد انقضاء الأجل الذي حدده الله لحياتي، كما فكرت في إخراجها تباعا باعتبارها مادة خاما وأنا ما أزال على قيد الحياة. وقد قرأتها مرارا فوجدت أنها تحتوي على السمين والغث وأنها قد تكون مفيدة للجيل الحاضر ولعلها تكون أكثر فائدة للجيل اللاحق الذي سيكون أكثر تعطشا للمعرفة عن تراث أجداده».

يؤكد سعد الله على صدق وواقعية هذه اليوميات فيقول: «وما أستطيع التأكيد عليه هنا هو أن اليوميات صادقة كل الصدق فيما رويته، ولعلها تكون جديدة فيما حوته، فأنا لم أزوق ما أروي ولا تعينني خدمة هذا أو ذاك، يعينني ويهمني تسجيل ما عشته

وأعتقد أن هذه اليوميات على ما فيها من بساطة وواقعية قد تكون جديدة في بابها، فهي ليست مذكرات صاغها صاحبها على مقاسه بعد أن عاش حياته، وإنما هي صفحات أو اعترافات يومية على فطرتها دون تزويق، ولا بهرجة، وليس على بعد ذلك أغضب الناس منها أو رضوا عنها»⁶.

كان المؤلف في ذلك الوقت شابا في مقتبل العمر، يدرس في جامعة القاهرة، في ظروف قاسية، «ورغم الحرمان وشظف العيش، فإن سنوات القاهرة الخمس كانت من أغنى أجمل أيام العمر، فقد سكنت ضاحية المعادي التي تبعد عن القاهرة حوالي 15 كلم، قرابة سنتين ونصف»⁷.

لا يجد القارئ لهذه اليوميات صعوبة في التمييز بين ما هو شخصي يتعلق بالمؤلف، وما بين ما هو عام يعكس عصر هو أخصب مرحلة مرت على تاريخ الجزائر المعاصر، وأعني به ثورة التحرير التي أنهت وجود استعماري استيطاني تجاوز قرن من الزمن. وعليه فإن الذكريات الشخصية الواردة في اليوميات تهم المؤلف وحده، أو الذين يكتبون عن حياة أبي القاسم الطالب في القاهرة .

هذه الورقة تحاول الوقوف على أحداث ثورة التحرير كما وردت في يوميات الطالب سعد الله. الثورة كانت مشتتة في الجزائر، وقد مرت سنتان على اندلاعها، حينما بدأ أبو القاسم في كتابة يومياتها، كان يتابع الأحداث بشغف وحماس رغم البعد والصعاب، تحس وأنت تقرأ هذه اليوميات أنه كان يعيش هناك مع الثوار في جبال الجزائر.

لم يكن مؤلف اليوميات يمتلك مديعا ينقل إليه الأخبار، وإنما تابع الأنباء عن طريق الجرائد الصادرة في العاصمة المصرية القاهرة، وما أكثرها ولكنه اقتصر على شراء جريدة واحدة، «لازمت شراء وقراءة جريدة الجمهورية»⁸. كان الشاب الطالب أبو القاسم سعد الله يتابع يوميات الثورة العسكرية، ومعاركها السياسية والدبلوماسية مع فرنسا الاستعمارية تقريبا كل يوم عن طريق جريدة الجمهورية، وأحيانا كان يقرأ غيرها.

فعلى سبيل المثال ورد في يومية الثلاثاء 1956/04/07 ما يلي: «في الطريق استلفت نظري عنوان في جريدة الجمهورية يقول: "استقالة وزير فرنسا" في الجزائر»⁹ فلم أتمالك من دفع الثمن وذهبت لأقرأ الجمهورية، وقد رأيت فيها أن لأكوست، وزير المالية في وزارة غي موليه عين مقيما في الجزائر، بدالجنرال كاترو، وأهم يتوقعون أن يعين منداس فرانس في وزارة المالية.

وعند الزوال ذهبت لصلاة الجمعة، وفي الطريق اشترت الأهرام، عندما رأيت فيها عنوانا جذب نظري وهو تطورات هامة في المغرب العربي.¹⁰

إذن مصدر الأخبار المتعلقة بالثورة الجزائرية التي استعملها سعد الله في يومياته استقاها من الجرائد، وتحديدًا من جريدة الجمهورية القاهرية. وأكثر كلام المؤلف في هذه اليوميات منقول عن هذه الجريدة، ففي كل يومية تقريبا هناك كلام مأخوذ في الغالب منها .

والسؤال المطروح هنا ما مدى مصداقية وموضوعية هذه الصحافة في نقل أحداث ثورة كبيرة كالثورة الجزائرية؟ يعلم الجميع أن الجرائد لا تنشر المعلومات بطريقة موضوعية ومحيدة، فالأخبار عرضة للتعديل والتغيير والتحريف في غرف تحرير هذه الجرائد في كل مكان من العالم المعاصر، وهي في غالب الأحيان موجهة من قبل أجهزة معينة.

هذه واحدة، أما الثانية فإن الباحث عوض أن ينقل ويعتمد على يوميات سعد الله، عليه أن يستخدم مباشرة هذه العناوين الصحفية التي استعملها كاتب اليوميات، ولهذا لن اتطرق في هذه الورقة للكلام الذي نقله مؤلف اليوميات عن الجرائد، والباحث الجاد لا يكتفي بجريدة واحدة كجريدة الجمهورية التي تعكس بدون شك وجهة نظر الحكومة المصرية الرسمية من الثورة الجزائرية،

بل عليه تنويع مصادر الأخبار كالصحافة الفرنسية التي تحمل بين طياتها وجهة نظر فرنسا الاستعمارية من الثورة الجزائرية، وكذلك عليه العودة إلى صحافة جبهة التحرير الوطنية، والصحافة الدولية التي كانت تتابع أحداث الثورة الجزائرية، وبهذا الصنيع يستطيع تقديم تاريخ الثورة من خلال وجهات نظر متعددة تعبر عن مواقف كل الأطراف المؤثرة، وبذلك يتخلص من تهممة الانحياز لطرف على حساب طرف آخر، لأن الباحث المتسلح بالموضوعية ينشد الحقيقة التاريخية ليس إلا.

أعتقد أن عناوين هذه الجرائد مفيدة للباحث الذي يقرأ ويبحث عن نوع خاص ومعين من الأخبار، فلا شك أن يوميات سعد الله تقدم إليه الدعم وتفيده.

ففي يومية 1956/06/26: «جاء زميلي بالجريدة وقد احتوت عن الجزائر آن الثوار ظهور الأول مرة بلباس عسكري». ¹¹

وفي يومية 1956/07/01: «ذكرت الأخبار أن معارك كبيرة تدور الآن وأن الثوار سكوا عملة جزائرية وطنية يتعاملون بها». ¹²

وفي يوم 1956/07/24 ورد الخبر التالي: «هذا وقد طالعت الجريدة اليوم وقد قالت عن الجزائر أنه وقعت معركة عنيفة لم يقع مثلها منذ ابتدأت الثورة في جهة تلمسان». ¹³

هذه الأخبار المتعلقة بالتاريخ العسكري للثورة مثل اللباس العسكري، أو المعركة العنيفة التي لم تقع من قبل، أوسك عملة وطنية، هي في العادة محل بحث وتنقيب وشغف تدفع الباحث إلى قراءة الجريدة والتأكد من صدقية الأخبار والبحث عنها لدى جهات علمية.

وتقدم هذه اليوميات خدمات للباحثين عن بعض الأحداث الغامضة وغير المعروفة كثيرا، والتي سمعها سعد الله في القاهرة، ففي 1956/10/03 كتب سعد الله: «جاء الأخ الحبيب بن الصغير من تونس بعد أن أمضى الصيف هناك وتحدث كثيرا عن بعض الحوادث الجزائرية في تونس وكيفية تهريب السلاح إلى الجزائر وكيف ألقى القبض على السعيد عبد الحمي وعبد الكريم هالي وجماعة أخرى في باردو بتونس». ¹⁴

وفي الهامش عرف سعد الله بالسعيد عبد الحفي، وعبد الكريم فقال: «هما سعيد عبد الحفي الذي كان من الطلبة الجزائريين بتونس ثم أصبح مسؤولا بارزا في الثورة ومعه عبد الكريم هالي وهو ابن عم والدتي الذي كان مثله طالبا في الزيتونة ثم مسؤولا عسكريا، وكان قد اتصل بي في ربيع 1955 بشارع بوزينة بالجزائر العاصمة، ليجندني للثورة، وكان عندئذ يقيم عند ابن عمه الحفناوي هالي (خالي) شقيق والدتي، ثم رجع إلى تونس وكان ينسق تهريب السلاح مع أحمد بن بلة».¹⁵

وبعد مؤتمر الصومام تغير موازين القوى في تونس بحكم محاولة التونسيين المستقلين حديثا التحكم في الوضع فتعاونوا مع ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ للقضاء على خلية عبد الحفي وأنصار ابن بلة الذي عارض قرارات مؤتمر الصومام.

وهكذا قضى على عبد الحفي وهالي وشكيري وآخرين، وما تزال تفاصيل هذه الحادثة غامضة وللحادثة صلة بظهور تيار صالح بن يوسف المعارض لتيار بورقيبة.¹⁶

«وقال أن علي شكيري قد مات من جراء الهجوم الذي شنته القوات التونسية عند إلقاء القبض عليهم وقد جاء بعدد من مجلة بعنوان "المجاهد" التي تصدرها الجبهة».¹⁷

«كان شكيري آية في الذكاء والنشاط والوعي أكمل دراسته في العراق ورجع قبيل الثورة متشعبا بالروح الوطنية والقومية، التقيته في تونس سنة 1953، وكان مقتنعا بمبادئ حزب الشعب، وكان أهله يقيمون في تونس وبعد اندلاع الثورة أصبح من العناصر الفاعلة فيها، وكان يخيف البعض بإخلاصه ونشاطه وثقافته فكانت نهايته المأساوية في حادث تونس المشار إليها».¹⁸

وهناك وقائع سجلها سعد الله في يومياته، ربما أفادت بعض الباحثين، فعن نظرة الجمهورية التونسية المستقلة للجزائر الثائرة في ذلك الوقت كتب في يومية 1956/07/29: «ذهبت مباشرة لسماع المحاضرة التي ألقاها عزوز الرباعي، وهو زير الشباب والرياضة التونسي وكان المفروض أن يتكلم فيها عن كفاح المغرب العربي ولكنه اقتصر عن كفاح تونس وحدها وحتى في النهاية لم يشر إلى أن ثورة الجزائر هي السبب المباشر في منح تونس استقلالها».¹⁹

وفي اليوميات ذكر المؤلف وضعية بعض الجزائريين في مصر وعدها صورا سلبية تسيء إلى سمعة الثورة الجزائرية، ففي يومية 1956/09/10 كتب قائلا: «وبعد ذلك ذهبت إلى المجمع لأخذ المنحة والتقيت هناك ببعض إخواني الجزائريين في حالة مادية سيئة جدا حتى أن منظرهم يسيء إلينا جزائريين».²⁰

ولم ينس الكاتب وقائع العدوان الثلاثي على مصر فذكر أخبارا كثيرة، تتعلق بتطوع الجزائريين في صد العدوان عن مصر، ففي يومية 1956/11/01: «...وجلست أقرأ الجمهورية التي لم تذكر شيئا عن الجزائر وإنما كان حديثها

عن دخول بريطانيا وفرنسا مع إسرائيل في العدوان على مصر ف كل من القناة وبور سعيد والإسماعيلية، وتدخلنا البارحة مع الساعة السابعة مساءً».²¹

... حاولت كتابة رسالة إلى علي ولكن الغارات توالى علينا وانقطع النور فلم أستطع أن اعمل شيئاً²²، واللافت هنا هو الإشارة المتكررة إلى تطوع الشباب الجزائري من الطلبة في الحرس المصري.

وفي يومية 1956/11/02: «ثم توجهت إلى الجيزة حيث مركز تدريب الحرس الوطني، وبعد أن انتظرنا -نحن الطلبة الجزائريين، كلنا تقريبا- جاءتنا عربة وحملتنا إلى المدينة الجامعية قرب جامعة القاهرة، وبعد انتظار طويل وكانت الغارات فوقنا لا تكاد تنتهي عدنا من حيث جئنا، والسبب أننا أردنا أن نكون لواء جزائري فلم يرض القادة المصريون، وعدنا على أمل أن يلتقي بعض الإخوان منا بقيادة جيش التحرير المصري».²³

ودائما في سياق التطور للدفاع عن مصر، كتب المؤلف في يومية 1956/11/05 «كنا 78 شخصا، دخلت المعسكر مع الإخوان فدرنا ساعتين 08-10 صباحا».²⁴

يومية 1956/11/10: «هذا وكان تمرين اليوم نظريا على القنبلة المتفجرة».²⁵

يومية 1956/11/13: «نهضت مبكرا وبعد زمن حان موعد التوجه إلى المعسكر للتمارين على أنواع المقاومة الشعبية».²⁶

وتكشف اليوميات عن نشاط أبي القاسم الثقافي والإعلامي الثوري الموجه لخدمة ثورة التحرير، والاتصال بأهل الفكر ممن لهم كلمة مسموعة وتأثير على الرأي العام، كعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، الذي زاره في بيته، ففي يومية 1956/04/12 ورد ما يأتي بخصوص موضوع هذه الزيارة: «وكان عندي موعد مع الزميل عثمان سعدي فذهبت إليه وحضر رفاق آخرون فذهبنا جميعا لزيارة طه حسين في منزله قرب الأهرام، وقد زرنه ودار الحديث حول الثقافة الجزائرية، ثم ودعناه نحو نصف ساعة».²⁷

وفي هامش الصفحة كتب التوضيح التالي: «أذكر أن من زراه معنا عبد القادر نور، وحوالي أربعة من الطلبة الجزائريين الآخرين، وكان هدف الزيارة هو لفت نظره إلى القضية الجزائرية، وأدب الجزائر العربي بالذات، ولكنه فاجأنا بقوله أنه لم يتصل بأي إنتاج جزائري غير رواية مولود معمري "الربوة المنسية" التي كتب عنها، وكانت الزيارة في رمضان بين العصر والمغرب ولذلك كان يردد أماننا المقولة المصرية رمضان كريم».²⁸

وفي سياق النشاط الإعلامي الذي كان يقوم به في العاصمة المصرية كتب في يومية 1956/07/24 «كنت أفكر في إلقاء كلمة حول الوضع في الجزائر ثم توجهت إلى كلية الآداب للفظور، وهناك ألقى كلمة عن الجزائر وقصيدتين»²⁹، وفي هامش الصفحة كتب التوضيح التالي: «لا أملك الآن الكلمة ولا القصيدتين».³⁰

وفي يومية 1956/07/28 ورد ما يأتي: «سجلت في الصحافة المصرية وسجلت بعض القصائد للنشر وكتبت كلمة قصيرة عن كفاح المرأة الجزائرية».³¹

وتطرقت اليوميات للقصائد التي كتبها في ذلك الوقت المبكر من حياته، وتلك التي نشرها في المجلات الأدبية، وربما كانت هذه اليوميات مفيدة للباحثين عن أدب سعد الله.³²

وفيها أيضا رسالة القاهرة وهي عبارة عن ورقة ثقافية كان يرسلها إلى البصائر، ولا شك أن أسلوبها وطريقة عرض هذه الرسالة لا تتعد كثيرا عن الكتابة الصحفية.³³

وكتاب مسار قلم وبالذات في الجزء الأول، المدروس في هذه الورقة فيه ميزة أخرى مفيدة ذلك أن سعد الله كشف عن علاقته ببعض الشخصيات المؤثرة في جمعية العلماء كالشيخ محمد البشير، وأحمد توفيق المدني.

فقد تحدث عنهما باستضافة نسبية في مقدمة الكتاب، فإقامته بالقاهرة في النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي كانت سببا لمعرفة بعض الأشخاص عن قرب، كالشيخ البشير الإبراهيمي الذي لم يعرفه قبل القاهرة «إلا عن طريق البصائر والسماع والكتب كطالب زيتوني».³⁴

وأبو القاسم يكشف بصراحة عن أمر وقع فيه لا يعرف كنهه: «ولا أدري ما الذي جرأني على النزول عند الشيخ الإبراهيمي، في مكتبه بمركز جمعية العلماء بالقاهرة ليلا».³⁵

وعن حفاوة الشيخ به كتب قائلا: «استقبلي كأحد أبنائه، وفتح لي الباب بنفسه ساعة وصولي، وعمل على تزكية طلبي للدخول إلى إحدى الجامعات، ثم تولى مكتبه دفع منحة السكن المخصصة لطلبة البعثة رغم أنني لست منهم».³⁶

ويظهر أن الوافد الجديد صاروة من المقربين من الشيخ، فهو يذكر توطد علاقته بالإبراهيمي، «فكان يدعوني سعد السعود، وكنت أزوره في بيته في مصر الجديدة بعد رجوعه للقاهرة، وحين عزمتم على السفر للدراسة في الخارج تركت له مخطوطة كتابي شاعر الجزائر محمد العيد، ليبعث له عن ناشر ويكتب له تصديرا وقد فعل ذلك رحمة الله عليه».³⁷

ويبدو أن وضعية الإبراهيمي لم تكن مريحة بالقاهرة عشية وصول سعد الله ونزوله عنده «وكان الشيخ عشية نزولي عنده يعاني من تقدم في السن، ومن وضع سياسي متأزم مع ممثلي جبهة التحرير الوطني في القاهرة لاختلاف في الرؤية، ومع السلطات المصرية لصلته بالإخوان المسلمين، ومن خروج بعض طلبة البعثة عليه، وغير ذلك من المشاكل التي بحكم سني وبعدي لم أكن أعرفها».³⁸

غير أن هذه الصورة المشرقة التي قدمها عن علاقته بالشيخ تنقلب إلى العكس، وتصير مظلمة، ففي يوم الأحد 1956/02/05: «وأحب أن أشير هنا إلى أن المأساة التي مررت بها ليست كلها وليدة الظروف، بل أن هناك أشخاصا لهم دخل كبير مباشرة في تضخيم ذلك اليأس وجعله صورة مخزية ومفجعة ذلك أني كتبت كلمة في البصائر عن الشيخ البشير الإبراهيمي، وعن أعماله في سبيل الجزائر والطلبة ونشاطه».³⁹

ولكني ما لبثت بعد نشرها أن بدأت أشاهد آثار رد الفعل فأنا أولا كنت خالي الذهن تماما عن الجو الذي يعيش فيه إخواني الطلبة بعضهم مع بعض ومع الشيخ.

لذلك نفس عليّ الذين ألحقهم الشيخ به أو اعتبرهم من خلصيه حتى دسوا إليه أن لدي مالا وأني متصل بمن كانوا ضده ومن هنا تغير (الشيخ الرئيس) وأخرجني من المكتب في صورة مشينة مخزية حيث أستطيع أن أصرف على نفسي فما الداعي إلى بقائي وإلى استجلاب عطفه.⁴⁰

أما علاقة أبو القاسم سعد الله بأحمد توفيق المدني، فقد كانت ممتازة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما كتب عنه في مقدمة مسار قلم «أصبحت أراه عدة مرات في الأسبوع وما يمنعي من لقائه إلا سفره إلى الخارج أو حلول موسم الامتحان، وخلال لقائنا كان يحدثني عن أمور بينه وبين بعض أعضاء وفد جبهة التحرير الوطني وبينه وبين الطلبة، وكنت من جهتي أحضر بعض نشاطه الإعلامي».⁴¹

وعن الخدمات التي قدمها المدني له يقول: «وهو الذي كتب لي رغم أشغاله الكبيرة والرسمية، مقدمة مجموعتي الشعرية الأولى (النصر للجزائر) بل هو الذي فاوض الدار الناشرة للمجموعة على مساهمة الجبهة في شراء نسخ منها»⁴².

وعن أعضاء الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني قال: «وكثيرا ما كنت ألتقي بأعضاء الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني».⁴³

ويبدو أن معرفته هؤلاء كانت سطحية، فهو لا يذكر ما يفيد القارئ أو الباحث، وبحكم كونه كان طالبا يدرس في الجماعة المصرية في ذلك الوقت، فجاء كلامه عن هذه الشريحة في محله وقدم شهادة ممتازة.

«كان الطلبة يشكلون شريحة هامة من الجالية الجزائرية في القاهرة، كانوا على وعي سياسي كبير لكثرة عددهم ونفوذهم في دوائر الطلبة العرب، مما قادهم إلى التفكير في تكوين منظمة تجمعهم فكانت رابطة الطلبة الجزائريين في المشرق».⁴⁴

وأخيرا فإن هذه اليوميات تكشف عن إرهاصات باحث كبير ومؤرخ قدير سيتصدر المشهد الثقافي بعد استقلال الجزائر ألا وهو أبو القاسم سعد الله، المعروف بجديته ونشاطه الحثيث . فقد كتب هذه المذكرات وهو في

مقبل العمر، والأكثر من ذلك أنه كان يدرس في جامعة القاهرة الأدب لا التاريخ، ولكن ذلك لم يحل بينه، وبين امتلاك الوعي التاريخي، ويبدو أن هذا الوعي التاريخي هو الذي قاده إلى كتابة هذه اليوميات.

لقد ركزت فيما سبق على ما في هذه المذكرات من مادة تاريخية تفيد المؤرخ والباحث في الثورة الجزائرية، وتجنبت الحديث عن مواد ثانوية لا طائل من ترديدها لأنها تخص المؤلف، أو نقلها الكاتب من الصحافة، صحيح أن المؤلف لم يقدم وثائق لا يرقى إليها الشك، ولم يقدم معلومات كثيرة بحكم سنه الصغيرة، وقلة خبرته، وعدم تحمله للمسؤوليات في الثورة. وقصر المدة التي عالجتها هذه اليوميات.

ولكنه قدم شهادة عن عصره، عن أحداث شاهدها وكان قريبا منها، كما كتب عن مساهمته في الكتابة للثورة، ودوره في التعريف بها، والدفاع عنها، فهو كان مجاهدا بالقلم والكلمة، وعن شخصيات مهمة عرفها عن قرب، وأخبار سمع عنها، وربما نقلها إليه أشخاص شاركوا من قريب أو بعيد في صناعة أحداث تلك الثورة التي غيرت مجرى الأحداث في الجزائر.

الهوامش:

- 1- ربما ظهرت أجزاء أخرى لم أسمع بها.
- 2- أنظر مسار قلم يوميا، الجزء الأول، القاهرة، 1956-1957م، طبعة خاصة، عالم المعرفة، 2011.
- 3- نفس المكان
- 4- أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 05
- 5- المرجع نفسه، ص ص 6-7.
- 6- المرجع نفسه، ص 8.
- 7- المرجع السابق، ص 8.
- 8- المرجع نفسه، ص 10.
- 9- المرجع نفسه، ص 26.
- 10- المرجع نفسه، ص 28.
- 11- المرجع نفسه، ص 112.
- 12- المرجع نفسه، ص 115.
- 13- المرجع نفسه، ص ص 126-127.
- 14- المرجع نفسه، ص 189.

- 15- المرجع نفسه، ص 189.
- 16- المرجع نفسه، ص 189.
- 17- المرجع نفسه، ص 190.
- 18- المرجع نفسه، ص 190.
- 19- المرجع نفسه، ص 130.
- 20- المرجع نفسه، ص 166.
- 21- أنظر المرجع نفسه، ص ص 216-217.
- 22- المرجع نفسه، ص 217.
- 23- المرجع نفسه، ص 218.
- 24- المرجع نفسه، ج 1، ص 220.
- 25- المرجع نفسه، ج 1، ص 225.
- 26- المرجع نفسه، ج 1، ص 228.
- 27- المرجع نفسه، ج 1، ص 64.
- 28- المرجع نفسه، ص 64.
- 29- المرجع نفسه، ص 126.
- 30- نفس المكان.
- 31- المرجع نفسه، ص 133.
- 32- أنظر، ص 44، 46، 50، 51، 56، 76، 77، 78، 80، 85، 95.
- 33- أنظر، ص 22، 24، 25، 26، 29، 32، 37، 37، 43.
- 34- أنظر، مقدمة كتاب مسار قلم، ج 1، ص 11.
- 35- المرجع نفسه، ج 1، ص 11.
- 36- نفس المكان.
- 37- المرجع نفسه، ج 1، ص 11.
- 38- نفس المكان.
- 39- المرجع السابق، ج 1، ص 22.

- 40- نفس المكان.
41- المرجع نفسه، ص 12.
42- المرجع نفسه، ص 12.
43- نفس المكان.
44- المرجع نفسه، ص ص 13-14.